نهر النسيان ...!

[إلى الذين هموا بالرحيل ولم يعرفوا إلى أين .. !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

اسْقِيَانِي مِنْ خَمْرَةِ النِّسْيَانِ ... وَانْسَيَانِي فَقَدْ نَسِيتُ زَمَانِي !
وَنَسِيتُ الشَّبَابَ وَالسِّحْرَ وَالأَحْـ ... ـلاَمَ وَالفَنَّ وَالرُّؤَى وَالأَغَانِي
وَنَسِيتُ المُنَى وَكَانَتْ شُعَاعًا ... بَاهَتَ الظِّلَّ حَائِرًا فِي جَنَانِي
وَنَسِيتُ الأَسَى وَكَانَ رِيَاحًا ... أَزْجَتِ الجِنُّ خَطْوَهَا فِي كِيَانِي
وَنَسِيتُ الأَيَّامَ حَتَّى تَلاَشَتْ ... كَهَشِيمٍ عَلَى تُرَابِ الزَّمَانِ
وَنَسِيتُ الانْتِقَامَ رَعَّاشَةَ الشَّدْ ... وِ حَيَارَى حَزِينَةَ العِيدَانِ
وَنَسِيتُ الدُّمُوعَ وَهْيَ أَغَانٍ ... أَخْرَسَتْهَا زَوَابِعُ الأَحْزَانِ
غِرِدَاتُ السُّكُونِ مَخْنُوقَةُ اللَّحْـ ... ـنِ تَشَاجَتْ بِسِحْرِهَا أَجْفَانِي !

وَنَسِيتُ الجَمَالَ حَتَّى كَأَنِّي ... لَمْ أُصَمِّخْ بِنُورِهِ أَلْحَانِي
فَنَسِيتُ العَبِيرَ وَالزَّهْرَ يُذْكِيـ ... ـهِ بِفَجْرِ الطَّبِيعَةِ النَّسْمَانِ
وَنَسِيتُ النَّدَى وَقَدْ كَانَ خَمْرًا ... لِبَنِي الطَّيْرِ لَمْ تُرَقْ فِي دِنَانِ
وَنَسِيتُ الأَنْسَامَ تَنْقُلُ فِي الْمَرْ ... جِ صَلاَةَ الطُّيُورِ لِلْغُدْرَانِ
وَنَسِيتُ النُّجُومَ وَهْيَ عَلَى الأُفْـ ... ـقِ نَشِيدٌ مُبَعْثَرُ الأَوْزَانِ
وَنَسِيتُ الرَّبِيعَ وَهْوَ نَدِيمُ الشِّـ ... ـعْرِ وَالطَّيْرِ وَالهَوَى وَالأَمَانِي
وَنَسِيتُ الخَرِيفَ وَهْوَ صِبًا مَا ... تَ فَسَجَّتْهُ شَيْبَةُ الأَغْصَانِ
وَنَسِيتُ الظَّلاَمَ وَهْوَ أَسَى الأَرْ ... ضِ وَنَابُوتُ شَجْوِهَا الحَيْرَانِ
وَنَسِيتُ الأَكْوَاخَ وَهْيَ قُلُوبٌ ... دَامِيَاتٌ تَلَفَّعَتْ بِالدُّخَانِ
وَنَسِيتُ القُصُورَ وَهْيَ قُبُورٌ ... ضَاحِكَاتُ البِلَى مِنَ البُهْتَانِ
وَنَسِيتُ النَّعِيمَ وَالبُؤْسَ مَاذَا ... تَرَكَا لِي مِنْ شَقْوَةٍ أَوْ أَمَانِ ؟
وَنَسِيتُ السَّلاَمَ وَالحَرْبَ سِيَّا ... نِ شَذَا النَّوْرِ أَوْ لَظَى البُرْكَانِ
وَنَسِيتُ الهُدُوءَ وَالضَّجَّةَ الهَوْ ... جَاءَ سِيَّانِ سَكْتَتِي أَوْ بَيَانِي !
وَنَسِيتُ الكَلاَمَ مَاذَا جَنَى لِلْمُصْـ ... ـغِي إِلَيْهِ سِوَى بِنَاءِ الدُّخَانِ ؟
وَنَسِيتُ السُّكُونَ وَهْوَ عَزِيفٌ ... أَبَدِيُّ الصَّدَى أَشَلُّ المَثَانِي
وَنَسِيتُ الحَيَاةَ وَهْيَ رَمَادٌ ... نَفَخَتْ ذَرَّهُ يَدُ الشَّيْطَانِ
وَنَسِيتُ الفَنَاءَ وَهْوَ بِجِسْمِي ... هَادِمٌ يَرْصُدُ الفَنَاءَ لِبَانِي !
وَنَسِيتُ النِّسْيَانَ وَالذِّكْرَ حَتَّى ... صِرْتُ وَهْمًا فِي خَاطِرِ النِّسْيَانِ !
وَتَجَرَّدْتُ مِنْ زَمَانِي وَكَوْنِي ... لِزَمَانٍ مُحَجَّبٍ عَنْ عِيَانِي
وَإِذَا بِي فِي قَفْرَةٍ أَلْقَتِ الصَّمْـ ... ـتَ عَلَيْهَا صَوَامِعُ الرُّهْبَانِ
خَاصَمَ الدَّهْرُ لَيْلَهَا فَهْيَ دَهْرٌ ... مَا رَأَتْهُ مَرِيرَةُ الأَكْوَانِ
وَلَوَى الجِنُّ خَطْوَهُ عَنْ ثَرَاهَا ... فَهْيَ حَتْفٌ لِكُلِّ إِنْسٍ وَجَانِ
لاَ ظَلاَمٌ، وَلاَ ضِيَاءٌ، وَلَكِنْ ... غَيْهَبٌ حَائِرٌ عَلَى الكُثْبَانِ
لاَ سُكُونٌ، وَلاَ ضَجِيجٌ، وَلَكِنْ ... هَمْهَمَاتٌ يَلْفَحْنَ فِي وَجْدَانِي
جُبْتُ فِيهَا حَيْرَانَ أَقْذِفُ نَفْسِي ... فِي خِضَمٍّ مُغَيِّبِ الشُّطْآنِ
وَإِذَا أَشْيَبُ يُغَمْغِمُ كَالمَجْـ ... ـنُونِ بَيْنَ السُّهُولِ وَالوِدْيَانِ
شَهْوَذَتْهُ السَّمَاءُ فَهْوَ خَيَالٌ ... يَتَزَيَّا بِصُورَةِ الإِنْسَانِ

على حال واحدة ، ثم شاءت لهم دماثتهم أن يجعلوها موضعاً لنكاتهم فهي ابنة بائع اسفنج في الريف أو هي لا تكلف أكثر من نصف ريال يدفع لحزيمي إلى غير ذلك مما أمسك القلم عن ذكره من عبارات هؤلاء الظرفاء المهذبين !

ودنا القطار أخيراً من إحدى المدن فنهضت الفتاة لتنزل ومدت يدها إلى الرف لتأخذ حقيبة صغيرة فتقدم أحد هؤلاء الظرفاء وأنزلها لها فتناولتها وهي تقول له في عبارة فصيحة : « أشكرك جداً يا أفندي » ثم خرجت من الديوان

ونظرت إلى وجوههم وهرة الخجل تلهب وجنتي ، وأشهد لقد شاعت في تلك الوجوه الصفيقة شيء من هذه الحمرة ولكن لعل ذلك مرجعه إلى وجودي ، ولعلهم لو كانوا وحدهم لأجابوها بضحكة من ضحكاتهم أو بنكتة من ظريف نكاتهم .

الخفيف

آدمِيُّ الرُّوَاءِ أَذْهَلَهُ الوَهْـمُ وَغَشَّتْهُ هَبْـلَةُ الحَيَوَانِ
نَقَشَ العَنْكَبُوتُ فَوْقَ مُحَيَّا هُ ظِلالاً مِنْ صُفْرَةِ الأَكْفَانِ
مُقْلَتَاهُ بِئْرَانِ دَلْوُهُمَا الظَّـنُّ وَغَيْبَانِ فِي الدُّجَى تَائِهَانِ!
وَيَدَاهُ لِقَامَةِ الزَّمَنِ الأَعْـ ـرَجِ عُكَّازَتَانِ مَشْدُوخَتَانِ!
ضَمَّ إِحْدَاهُمَا وَلَوَّحَ بِالأُخْـ ـرَى لِوَادٍ مُخَدَّرِ نَعَسَانِ
فِيهِ نَهْرٌ مِنَ الدُّمُوعِ، وَحُبٌّ مُتَرَعٌ بِالأَنِينِ وَالأَشْجَانِ
وَقُلُوبٌ أَقَلَّهَا بَيْنَ جَنْبَيْـ ـهِ سَفِينٌ يَجْرِي بِلا رُبَّانِ
وَالِهَاتٌ، مُجَرَّحَاتٌ، حَزَانَى مَزَّقَتْهَا فَوَاجِعُ الأَزْمَانِ
بَيْنَهَا نَاكِلٌ، وَآخَرُ شَجَّتْـ ـهُ يَدٌ لِلأَسَى بِغَيْرِ سِنَانِ
وَشَقِيٌّ يَسُوقُهُ نَحْسُ دُنْيَا هُ إِلَى مَرْفَإٍ شَقِيِّ المَكَانِ
وَيَتِيمٌ، وَبَائِسٌ، وَغَرِيبٌ وَشَرِيدٌ مُقَطَّعُ الأَرْسَانِ
وَمُنَادٍ دَعَا الأَمَانِيَ فَصَدَّتْـ ـهُ! وَعَادَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ الأَوَانِ
وَحَبِيبٌ أَرْدَتْهُ فِي لَهَبِ الأَسْـ ـقَامِ وَالسُّهْدِ صَرْعَةُ الحِرْمَانِ
وَطَعِينٌ بِخِنْجَرِ الظُّلْمِ بَاكٍ دَفَنَتْ نَوْحَهُ يَدُ الطُّغْيَانِ
أَرْعَشَتْنِي السِّنِينُ وَاسْتَلَبَ الأَشْـ ـيَبُ وَعْيِي، رَبَّاهُ مَاذَا دَهَانِي؟
فَتَهَاوَيْتُ كَالهَشِيمِ عَلَى أَشْـ ـلاءِ رُوحِي المُمَزَّعِ الأَشْيَانِ!
ثُمَّ نَادَيْتُهُ فَأَمْعَنَ فِي الصَّمْـ ـتِ قَلِيلاً وَصَاحَ بِي: مَنْ دَعَانِي؟
قُلْتُ: رُوحٌ مُعَذَّبٌ! قَالَ: مِنْ أَيْـ ـنَ؟ فَقُلْتُ: الأَسَى إِلَيْكَ رَمَانِي
عَلِّنِي أَسْتَقِي الهُدُوءَ، وَأَلْقَى بَيْنَ كَفَّيْكَ رَاحَةَ السُّلْوَانِ!
قَالَ: أَقْبِلْ فَكَمْ بِدُنْيَاكَ صَرْعَى شَرِبُوا مِنْ يَدِي رَحِيقَ الحَنَانِ
فَتَلاشَتْ دُمُوعُهُمْ، أَرَأَيْتَ الشَّـ ـكَّ تُبْلِيهِ ثَوْرَةُ الإِيمَانِ!
وَاسْتَطَارَتْ شُجُونُهُمْ أَرَأَيْتَ الطَّيْـ ـفَ تَطْوِيهِ هَبَّةُ الوَسْنَانِ!
قُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رُؤْيَا خَيَالٍ كُلُّ حَيٍّ عَلَى الوُجُودِ رَآنِي!
أَنَا مَعْنًى فِي خَاطِرِ الغَيْبِ ذَابَتْ حَوْلَ أَسْوَارِهِ جَمِيعُ المَعَانِي
أَنَا كَهْفٌ مُغَلَّفٌ فِي حَشَا الدَّهْـ ـرِ يَشِعُّ الفَنَاءُ مِنْ جُدْرَانِي
خَلَّفَتْ فِي ثَرَايَ دُنْيَا الشَّقِيِّينَ، وَلاذَ الوُجُومُ فِي أَرْكَانِي
وَارْتَمَتْ حَوْلِيَ الخُطُوطُ التَّعِيسَاتُ، وَنَامَ العَذَابُ فِي أَحْضَانِي
مَدْفَنٌ لِلخُطُوبِ قَلْبِي، وَمَنْفَى أَبَدِيٌّ لِنَكْبَةِ الحَدَثَانِ!
أَنَا طِبُّ الأَيَّامِ أَشْفِي جِرَاحَا تِ الزَّمَانِ! المُرَزَّإِ اللَّهْفَانِ
أَنَا بَحْرُ الهُدُوءِ مَنْ مَلَّ دُنْيَا هُ رَمَى عِبْأَهَا عَلَى شُطْآنِي
مُنْذُ مَا دَبَّتِ الخَلائِقُ حَوْلِي لَقَّبَتْنِي السَّمَاءُ «بِالنِّسْيَانِ»
فَنَسِيتُ الحَيَاةَ وَالمَوْتَ مَا أَدْ رِي أَحَيٌّ أَنَا هُنَا أَمْ فَانِ؟!
مَرَّ بِي «آدَمُ» قَدِيمًا فَأَوْمَأْ تُ إِلَيْهِ بِطَرْفِ هَذَا البَنَانِ
فَسَقَى قَلْبَهُ مِنَ النَّهْرِ كَأْسًا وَتَلاشَى عَنْ أَعْيُنِي فِي ثَوَانِي
وَإِذَا بِي أَرَاهُ بَهْتِكُ سِرَّ الـ ـخُلْدِ فِي غَيْرِ هَذْأَةٍ أَوْ تَوَانِ
مَالَ بِالدَّوْحَةِ الَّتِي قَدَّسَ اللَّـ ـهُ جَنَاهَا فَلَمْ تَنَلْهَا يَدَانِ
وَجَنَى مِنْ ثِمَارِهَا هَذِهِ الدُّنْـ ـيَا وَأَحْدَاثَ هَذِهِ الأَكْوَانِ
عَبَّ خَمْرِي فَأَذْهَلَتْهُ عَنِ الغَيْـ ـبِ وَأَقْصَتْهُ عَنْ ظِلالِ الجِنَانِ!
لَيْتَهُ لَمْ يَذُقْ رَحِيقِي وَلَمْ يَهْـ ـرَعْ لِنَهْرِي وَلَمْ يُطَاوِعْ بَنَانِي!
أَنَا سِرُّ الوُجُودِ مَنْ رَامَ سِرِّي نَسِيَ الحَشْرُ قَلْبَهُ فِي جَنَانِي..

... ...

قُلْتُ: يَا حَادِيَ الخُطَا بَا لِقَبْرٍ مَرَدَتْ رُكْنَهُ يَدُ الغُفْرَانِ!
يَا هَوَاىَ الَّذِي تَهَافَتُّ بِالرُّو حِ عَلَيْهِ وَبِالجِبَاهِ وَالأَذْقَانِ
أَيْنَمَا سِرْتُ جَرَّ طَيْفُكَ أَحْلا مِي وَمِنْ نَهْرِكَ المُصَفَّى سَقَانِي
مُنْذُ مَا جِئْتُ لِلثَّرَى وَأَنَا صَبُّـ ـكَ فَارْحَمْ عِبَادَتِي وَافْتِتَانِي!
مَزَّقَتْنِي أَشْوَاكُ دُنْيَايَ وَاغْتَا لَتْ شَبَابِي وَأَزْعَجَتْ أَلْحَانِي!
الهَوَى وَالنَّشِيدُ — يَرْعَاهُمَا اللَّـ ـهُ — بِقَيْدِ الخُلُودِ قَدْ ضَيَّعَانِي!
تَرَكَانِي أَهِيمُ كَالعَاصِفِ المُشْـ ـدُوهِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ وَمَكَانِ
لاذَ عُمْرِي بِشَاطِئَيْكَ فَدَعْنِي فِي ثَرَاكَ القَرِيبِ أَدْفِنْ زَمَانِي
فَتَمَطَّى فَزَلْزَلَ الأَرْضَ تَحْتِي وَطَوَى الصَّمْتُ فِي القَلا إِذْ طَوَانِي

محمود حسن اسماعيل

حكم استئنافيا بتفريم عبد القادر حسن المعداوي التاجر بمصر القديمة بالقضية ١٦٠٩٩ بجملة ١٥ ديسمبر سنة ٦٩٤٠ جنيهان ليمه لم يأذن من التسعيرة .